مجلـــة بـدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الأول / العدد: الثالث / ديسمبر 2019/ ص ص: 92-106

تخريج أبي علي الفارسي للقراءات القرآنية و تعدُّد مواقفه منها في كتابه: "الحجة للقراء السبعة"

multiplicity of Abi Ali Al-Farsi's graduation of Qur'anic readings and the positions on them "In his book: "The Argument for the Seven Readers

أ.د قمقام فوزية

faizakerroum@gmail.com

أ. كروم لخضر

l.kerroum@lagh-univ.dz

كلية الآداب و اللغات جامعة عمار ثليجي الأغواط

تاريخ الإرسال2019/10/20.	تاريخ القبول:2019/11/24	تاريخ النشر2019/12/25

ملخص البحث

يعدّ تخريج القراءات وبيان أوجهها من أبرز مجهودات أبي علي القرائية المتجلية الوضوح من خلال كتابه (الحجة للقراء السبعة) ونستخلص من توجيهه للقراءات أنه لا يفرق بين القراءات السبع وغيرها من القراءات مادام السياق يقتضيها، صارفا النظر عن كونه خصص كتابه لتعليل القراءات السبعة. بالإضافة إلى أنه يوجه القراءات دون اعتراض إذا اتفقت والمقاييس النحوية المعروفة، ويرجح إحداها إذا وجد القراءة المرجوحة مخالفة للقياس ،ليس يهم بعد ذلك أن تكون القراءة المقبولة شاذة.

الكلمات المفتاحية : القراءات – الحجة – الشاذة – القياس

Summary:

Graduating the readings and explaining their aspects is one of the most prominent efforts of Abi Ali, which is clearly evident through his book (The Argument for the Seven Readers). In addition to that he directs the readings without objection if they agree with the known grammatical standards, and one

of them is likely if he finds the weighted reading contrary to the measurement, it does not matter after that that the accepted reading is anomalous

Key words: readings - argument - anomalies - measurement

مقدمـــة:

أبو علي الفارسي أحد تلاميذ ابن مجاهد الذين أخذوا القراءة عنه، وأخذ النحو عن الزجّاج وابن السرّاج فكان نحويا كبيرا وقارئا جليلا، مكّنه علمه من الانصراف إلى القراءات السبع التي حددها شيخه ليبين وجوهها النحوية في كتاب مستقل؛ فكان بذلك أحد المتخصصين في مجال القراءات وتوجيهها، وبيان أوجهها ولعله من أبرع الذين تصدوا لتخريج القراءات السبع، إذ ساعدته ثقافته الواسعة وعمق معرفته بالعربية، أن يجد لكثير من الوجوه مخرجا، وأن يلتمس لعديد من الخلافات توجيها، ويعد كتابه "الحجة للقراء السبعة" وثيقة دالة على مدى اهتمامه بالقراءات، وصورة واضحة لمواقفه منها.

1- تعريفه للقراءات وموقفه منها :

كان الفارسي يقرّ بأن: "القراءة سنة، فلا ينبغي أن تحمل على ما تجوّزه العربية حتى ينضم إلى ذلك الأثر من قراءة القراء" [1] إلا أنه كان مثل غيره من النحاة الذين أخضعوا القراءات لمقاييسهم وهاجموا بعض وجوهها المشهورة، إذ وصف بعضها باللحن وبعضها الآخر بالضعف، كما وصف بعض القراءات الشاذة بالخطأ لأنها لا توافق مذهبه، إلا أنه لم يبلغ في ذلك كل قسوة السجستاني والمبرد والنحاس [2]، فهو يرى أن القراءة ليست موقوفة على قياس العربية دون إتباع الأثر فيها، وهذا ما يعني فهم أبي علي لأثرية القراءات ووعيه التام بأنها سنة يأخذها الآخر عن الأول وليس لأحد أن يقرأ بما يجوز دون أن يعتمد في قراءته على ثبات الأثر.

2- القراء السبعة ورواتهم في كتاب الحجة:

كان ابن مجاهد أول من حصر القراء في سبعة في كتابه: "السبعة في القراءات " و أول من اختار راويين فقط لكل قارئ، بعدما راعه ما انتهى إليه عصره من اختلاف مستويات القراء ،وتعدد المناهج ،على أنه لم يقبل بكل ما روي عن هؤلاء، فقد ترك ما ينقل عنهم من روايات شاذة فقد ألحّ ابن مجاهد على مقدرة هؤلاء القراء العميقة، في اللغة و الإعراب و المعاني، كما ألحّ على موافقة الرسم، وهو أول من دعا إلى شرط موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية، وذلك من خلال إصراره على ضرورة تمكن القارئ في علوم العربية، ومجموع هؤلاء السبعة ورواتهم حسب ورودهم في كتاب الحجة ما يأتي :

2-1 ابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن يزيد وينتهي نسبه إلى محصب بن درهمان أحمد حمير [3]، وهو قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران وهو من التابعين [4] وهو تابعي جليل لقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير ،وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وقيل أنه قرأ على عثمان نفسه ،وهو أحد القراء السبعة، وإمام أهل الشام ،توفي سنة 128[5].

و **راوياه** :

أ- أبو الوليد هشام بن عمار بن أبان ،توفي عام 245 هـ.

ب- أبو عمرو عبد الله بن احمد بن بشير بن ذكوان .

2-2 ابن كثير: هو عبد الله بن كثير بن المطلب، إمام المكيين في القراءة .قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي وعلى مجاهد وغيرهما، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وسبل بن عباد وغيرهما توفي سنة 120هـ [6]

و **روایاه**:

أ- أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزّي توفي عام 205 هـ.

ب- أبو عمر محمد بن عبد الرحمن الملقب بقنبل (لشدته) توفي عام 291 هـ .

2-3 عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له بهدلة ويكنى أبا بكر وهو من التابعين [7] أحد القراء السبعة ،قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وزرّ بن حبيش، وقرأ عليه خلق كثير منهم: الأعمش وأبو بكر عياش، وحفص بن سليمان والمفضل الضبي توفي سنة 127هـ [8].

و **راوياه**:

أ- أبو بكر شعبة بن عياش توفي عام 193 هـ.

ب- حفص بن سليمان بن المغيرة توفي عام 170هـ.

2-4 أبو عمرو البصري: هو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري وقيل اسمه يحي وقيل اسمه كنيته[9]، كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة في الدين، هو أحد القراء السبعة عرض على مجاهد وسعيد بن جبير وابن كثير، وغيرهم، وقرأ عليه يحي بن المبارك اليزيدي وخلق كثير، توفي سنة 154[10]هـ

و **راوياه:**

أ-أبو عمر حفص بن عمر الدوري توفي عام 246 هـ.

ب-أبو شعيب صالح بن زياد السوسي توفي عام 261 هـ.

2-5 حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التميمي، ويكنى أبا عمارة[11]، هو أحد القراء السبعة ،قرأ على الأعمش وحمران بن أعين وطلحة بن مصرف، وقرأ عليه الكسائي ، وسليم بن عيسى وآخرون

و **راوياه:**

أ- أبو محمد خلف بن هشام البزار توفي عام 229هـ.

ب- أبو عيسى خلاء بن خالد الصيرفي الكوفي ،توفي عام 220هـ.

2-6 نافع المدني: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ،أصله من أصفهان[12]، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة ،وأقرأ الناس دهرا طويلا فقرأ عليه إسماعيل ابن جعفر وعيسى بن وردان وقالون ، وورش، وغيرهم توفي سنة 169هـ[13].

و **راوياه:**

أ- أبو موسي عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون (لجودة قراءته) وقد توفي عام 205 هـ أو 220هـ[14]

ب-أبو سعيد عثمان بن سعيد الملقب بورش (لشدة بياضه ،أو لحسن قراءته)، وقد انفرد برياسة الإقراء في مصر مع حسن صوت، وجودة قراءة، توفي سنة 197 هـ[15]

2-7 الكسائي الكوفي :هو علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي الكوفي، المقريء النحوي و أحد القراء السبع قرأ على حمزة الزيات، و عيسى ابن عمر الهمداني ، و قرأ عليه أبو عمرو الداني، وأبو الحارث الليثي توفي سنة 187 هـ [16].

و **راوياه:**

أ- أبو الحارث الليث بن خالد المروزي ،توفي عام 240 هـ.

ب- أبو عمر الدوري (راوي أبي عمرو).

3- استشهاده بالقراءات :

كان الفارسي شأنه في ذلك شأن النحاة يتخذ القراءات سندا يعضده في قضاياه اللغوية ودليلا يستعين به فيما يذهب إليه من أراء صوتية أو صرفية، أو نحوية، سواء أكانت هذه القراءات المستشهد بها متواترة، أم شاذة ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أ– قوله أنه إذا التقى ساكنان من كلمتين وكان الحرف الثاني من الكلمة التي فيها الساكن الثاني متحركا حركة لازمة جاز في الساكن الأول التحويل بالضم والكسر و الفتح جميعا مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ [المؤمنون:1] و ﴿ مَنْ إِلَهٌ ﴾ [القصص:71] و ذلك مثل قولك:اركض اركض واستشهد بذلك بقوله تعالى: ﴿ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ ﴾ [ص:41]و﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا ﴾[الحجر45-46] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف :31]إذ يجوز في جميع ما سبق تحريك الساكن الأول بالضم إلى جواز تحريكه بالكسر[17] .

ب– بقوله أن ياء المتكلم إذا تحرك ما قبلها يجوز فيها –في الوصل- التحريك والإسكان والأصل التحريك فمن حركها في الوصل أسكنها في الوقف مستشهدا بقوله تعالى:﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ ﴾ [نوح:28] في قراءة من سكن الياء[18]، ومن أسكن في الوصل فوقف عليها تركها في الوقف على السكون ويجوز أن تحذف لأنها اسكنت وانكسر ما قبلها وتطرفت فأشبهت ياء قاض فتقول هذا الغلام وضربن مستشهدا بقراءة أبي عمر: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر:15] و﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [الفجر:16] فإذا سكن ما قبل هذه الياء فليس إلا تحريك في الدرج نحو :هذا قاضي، وهذان غلاماي فإذا أوقفها أسكنها واستشهد على التحريك في الدرج بقراءة ﴿ يَا بُشْرَاى ﴾ [يوسف: 19] [19] .

ج– قوله : وأما قولهم: انبُؤك ومنحدر من الجبل ؛ فان قولهم منحدر تبعت الضمة في ضمة الإعراب كقولهم: ابنم، و امرؤ، وأخوك، وذو مال، فأما قولهم: انبؤك فإن شئت أتبعت ضمة العين ضمة الإعراب مثل منحدر وإن شئت أتبعتها ضمة همزة المضارعة، وان كان الحرف قد حجز مثل: منتن ومما يقوي ذلك أن أبا عثمان قال: حدثني محبون بن الحسن القرشي عن عيسى قال:كان عبد الله بن أبي إسحاق يقرأ: ﴿ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال :24] ويقولون رأيت مرءا وهذا مرء [20].

وأيضا كان يقبل ما وافق مذهبه من الشواذ ويعقد به ويحتج به للقراءات المشهورة، بل يبني به بعض القواعد فهو يقبل قراءة ابن أبي ليلى :"لُدني" بضم اللام التي رفضها ابن مجاهد. ويجعلها صحيحة على قياس العربية،كما يقبل قراءة ابن عباس ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة :148] جاعلا اللام في (لكل) للتقوية[21]، وهكذا يستعين الفارسي بالقراءات لتأييد رأيه وتوثيق مذهبه، سواء أكانت القراءة سبعية، أم عشرية أم شاذة ، المهم أنه يستخدمها شاهدا يعزّز به ما يقول وظاهرة الاحتجاج بالقراءات شائعة في مؤلفات أبي علي بحيث لا تعد ولا تحصى .

4– احتجاجه للقراءات :

يعد تخريج القراءات وبيان أوجهها من أبرز مجهودات أبي علي القرائية، و قبل التطرق لأهم عناصر الاحتجاج و توجيه القراءات عند الفارسي في كتابه الحجة لا بد من التعريف بعلم الاحتجاج للقراءات :

حيث جاء في اللسان أن " الحجة: البرهان :وقيل :ما دوفع به الخصم"[22].

وفي التعريفات للشريف الجرجاني (ت816هـ):"الحجة : مادل به على صحة الدعوى"[23].

وعلى هذا فالاحتجاج هو: إقامة الحجة[24].

- وأما ما يستخلص من كتب الاحتجاج من معناه فهو أنه: بيان وجه كل قارئ فيما اختاره من قراءة . وأكثر هذه الوجوه لغوية ، ومنها ما ليس كذلك[25]، مما سيأتي الحديث عنه.

وسمي هذا الضرب من التأليف احتجاجا ، لأن أكثر من ألف فيه كان يفتتح بيان وجوه القراء بقوله : (وحجة من قراء بكذا...)

أما التوجيه: فهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين[26]، ومن التوجيه متشابهات القرآن باعتبار إحتمالها للوجهين المختلفين ، وأما باعتبار أنه يجب في التوجيه استواء الاحتمالين فليست منه[27]. والتوجيه عند علماء القراءات هو البحث عن وجهٍ للقراءة.

وعرفت كتب الاحتجاج و التوجيه تسميات أخرى ، نحو :

(وجوه القراءات) و (علل القراءات) و(إعراب القراءات) و(معاني القراءات) (توجيه القراءات) و (تخريج القراءات) وهي تسمية محدثة[28].

و يكاد يتفق الباحثون على أن دوافع التأليف في الاحتجاج أمران :

أ- توضيح الأركان الثلاثة للقراءة الصحيحة:

- صحة السند .

- موافقة العربية ولو بوجه .

- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

ب- الدفاع عن القراءات، ولا سيما المتواترة ، ضد من توهّم أن فيها لحنا[29]

وفي كليهما نظر :

أما الأول: فان كتب الاحتجاج لم تعن بنقد أسانيد القراءات التي تعرض لها ، وهي حينما تحتج برسم المصحف لا تفعل ذلك لتوضيح موافقة القراءات لمرسوم الخط ، بل لترجح قراءة على أخرى[30].

وأما الأخر: بعض من ألف في الاحتجاج من ضعف وردّأ وخطأ ولحن و وهّم وردّ بعض القراءات المتواترة، فكيف يقال عن هؤلاء : أن دافعهم للتأليف في الاحتجاج للقراءات هو الدفاع عنها ؟

وكل ما في الأمر أن كتب القراءات لما كانت كتب رواية يراعى فيها الاختصار تمكينا للطلبة من حفظها، كان أكثرها يخلو من العلل. فجاءت كتب الاحتجاج، وهي كتب دراية، تشرح ما اختصر فيها .

قال مكي في مقدمة كاتبه (الكشف) : "كنت قد ألفت بالمشرق كتابا مختصرا في القراءات السبع ...وسميته:(كتاب التبصرة)، وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون ، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات، طلبا للتسهيل وحرصا على التخفيف، ووعدت في صدره إني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب (كتاب التبصرة) ، اذكر فيه الحجج القراءات ووجوهها، وأسميه: (كتاب الكشف عن وجوه القراءات) [31].

ثم قال موزنا بين الكتابين: "فهذا الكتاب كتاب فهم وعلم ودراية، والكتاب الاول كتاب نقل ورواية" [32].

ومما يشهد أن الدافع للتأليف في الاحتجاج إنما كان شرح كتب القراءات لما انطوت عليه من إيجاز، وإن أكثر كتب الاحتجاج بني على كتاب في القراءات جعل متنا له :

فـ(معاني القراءات) للأزهري، و (إعراب السبع) و(الحجة) لابن خالوية[33]، و (الحجة) لأبي علي الفارسي: وضعت على(كتاب السبعة في القراءات) لابن مجاهد.قال ابو علي في مقدمة كتابه: " فان هذا الكتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (رحمه الله) المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام. بعد ان نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه، واخذنا عنه"[34].

و(الكشف) لمكي وضع على (التبصرة) [35].

و(شرح الهدية) للمهدوي وضع على (التبصرة) [36].

و(الموضح) لابن أبي مريم وضع على (تبصرة البيان في القراءات الثمان) لأبي الحسن علي ابن جعفر السعيدي الرازي[37].

وهذا مما يفسر تكاثر كتب الاحتجاج بعد تأليف ابن المجاهد كتابه، قال محققوا كتاب المحتسب: " فكأنما كان تأليف القراء الكتب في جمع القراءات ونسبتها والبحث عن إسنادها داعيا لعلماء اللغة أن يؤلفوا الكتب في الاحتجاج لها، فقد مهدت أمامهم السبيل، ومدت لهم الأسباب، فكان جمع القراءات الخطوة الأولى والاحتجاج لها الخطوة التالية" [38].

و يعدّ تخريج القراءات وبيان أوجهها من أبرز مجهودات أبي علي القرائية، وما كتابه (الحجة) على سعته وضخامته إلا توجيهه للقراءات السبع، فضلا عما تعج به مؤلفاته الأخرى من تخريج للقراءات متواترها، وشاذها، و أهم عناصر الاحتجاج و توجيه القراءات عند الفارسي في كتابه الحجة ما يأتي:

أ- توجيه أكثر من قراءة في الآية دون ترجيح بينها :

يظهر ذلك بجلاء عند تعرضه للقراءات الواردة في (غير) من قوله تعالى :﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ﴾ [النساء :95] حيث قرئت بالرفع والنصب والجر[39]فوجه الرفع على أن تكون (غير) وصفا للقاعدين ،والنصب على الاستثناء من القاعدين أومن المؤمنين والجر على أن تكون وصفا للمؤمنين ،قال أبو علي: " من رفع غيرا كان وصفا للقاعدين ؛والقاعدون غير مقصود قصدهم " كما كان قوله :﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:7] كذلك والتقدير لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون ،ومن نصبه كان استثناء من القاعدين وإن شئت كان من المؤمنين ؛لأن العامل في المستثنى ما في الصلة ،فلا يجوز أن يتقدم على الموصول ،ومن جر (غير) كان وصفا للمؤمنين والتقدير :لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء[40].

نلاحظ أنه قد وجه القراءات الثلاث دون ترجيح لإحداها مع أن الثالثة من الشواذ والأوليين سبعيتان ،ومثل هذه الظاهرة موجودة بكثرة في كتابه .

ب- توجيه قراءة مستعينا بقراءة من آية أخرى :

ومثال ذلك ما وجه به قوله تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:9] حيث قرأها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (يخادعون ...وما يخدعون)بفتح الياء بغير ألف[41]،فوجه أبو علي قراءة (وما يخادعون إلا أنفسهم) على أنها جاءت على لفظ (فاعل) وإن لم يكن الفعل إلا من واحد طلبا للمشاكلة بين اللفظين ،ففاعل هنا بمعنى فعل كما التمس للقراءة وجها آخر، وهو أن ينزل الإنسان ما يخطر بباله من الهواجس والأفكار منزلة شخص آخر يجاذبه ذلك

ويفاوضه إياه ،فيلزمه على ذلك أن يقول: (فاعل) وهو مذهب معروف في العربية يسمى (التجريد)، وأورد على ذلك شاهدا من الشعر، هو قول الكميت في ذكره حمارا أراد الورود:

- تذكر من أنى ومن أين يشربه يؤامر نفسيه كذي الهجمة الأبل

فجعل ما يكون منه من وروده الماء أو ترك الورود والتمثيل بينهما بمنزلة نفسين كما استشهد في هذا المجال بقراءة من قرأ : ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:259] بلفظ الأمر ،فنزل نفسه عند الخاطر الذي يخطر له عند نظره منزلة مناظر له غيره[42]

ومن قبيل ذلك توجيهه قراءة المضارعة بين الصاد والزاي في ﴿ الصِّرَاطَ ﴾ [الفاتحة:6] مستعينا بقراءة قوله تعالى :﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ [القصص :23] بإشمام الصاد والزاي [43].

إلى غير ذلك من القراءات التي استعان فيها أبو على بالقراءات في توجيه قراءات أخرى.

ج- توجيه أكثر من قراءة في الآية مع ترجيح إحداها :

كان أبو علي يتعرض كثيرا للقراءات في آية ما بالتوجيه، ثم يرجح إحداها إما لأنها قراءة الجماعة أو لأنها لا تتعارض مع القياس ،ومن ذلك توجيهه لقراءتي (غشاوة) بالرفع والنصب في قوله تعالى :

﴿ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة:7] حيث خرج الرفع على أن (غشاوة) مرفوعة بالظرف، أو بالابتداء ،أما النصب فإما أن يكون بحملها على (ختم) على حذف حرف الجر كأنه قال وختم على أبصارهم بغشاوة فلما حذف الجار انتصب الاسم ،وإما أن يكون محمولا على فعل مضمر فيكون التقدير وجعل على أبصارهم غشاوة،وقد قدم اعتراضات على تخريجي النصب كليهما أننا في التخريج الأول نفصل بين حرف العطف والمعطوف به، أما الثاني فلا تكاد تجده في حالة سعة واختيار ومن ثم قال: "فإذا كان النصب تعترض فيه هذه الأشياء فلا نظر في أن الرفع أحسن ،والقراءة به أولى وتكون الواو عاطفة جملة على جملة "[44].

ونستنتج من توجيهه للقراءات ما يلي :

1- أنه لا يفرق بين القراءات السبع وغيرها من القراءات، مادام السياق يقتضيها، صارفا النظر عن كونه خصص كتابه لتعليل القراءات السبعة.

2- أنه يوجه القراءات دون اعتراض إذا اتفقت والمقاييس النحوية المعروفة، ويرجح إحداها إذا وجد في القراءة المرجوحة مخالفة للقياس ،ليس يهم بعد ذلك أن تكون القراءة المقبولة شاذة كما حدث في قراءة (غير) بالجر أو أن تكون القراءة المرجوحة سبعية[45].

5- رفضه بعض القراءات :

أجرى أبو علي قواعد العربية ومقاييسها على القراءات المروية، ومن ثم أصدر أحكامه على ما يتفق وهذه المقاييس بالقبح أو عدم الصواب أو الغلط، وكأنه بذلك يعتد بأقوال النحاة في مقابلة القراءات المروية ومن ذلك:

أ- تغليطه لقراءة :﴿ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ [البقرة:16] بإبدال الواو همزة وهي التي اتخذها سندا لترجيح تحريك الواو بالضم في هذه الآية لالتقاء الساكنين على تحريكها بالكسرة[46].

ب- وكذلك قوله عن قراءة: ﴿ قَالُوا أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف:111] "وهذا غلط لا يجوز كسر

الهاء مع الهمزة ؛ وإنما يجوز إذا كان قبلها ياء ساكنة أو كسرة "[47].

ج- وكذلك حمله قراءة الحلواني عن هشام: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف:23] مهموزا بفتح التاء وكسر الهاء على الوهم حيث يقول :"فهو يشبه أن يكون وهما من الراوي لأن الخطاب يكون من

المرأة ليوسف ،وهو لم يتهيأ لها"[48].

وهناك قراءات كثيرة غير هذه خطأها الفارسي أو رماها بالقبح، أو الغلط، أو الضعف في القياس وعدم الإصابة،وكلها تدل أبلغ دلالة على أن أبا علي كان قياسيا في تعامله مع القراءات، فما وافق منها القياس قبله واقتنع به ،و ما خالف القياس لم يتحرج من وصفه بما شاء من الصفات ،و يسجل أن رسم المصحف لم يكن له خظوة عند أبي علي ؛ إذ أنه لم يكد يشير إليه من قريب أو بعيد ، ولم ينل منه أي اهتمام يذكر مما يؤكد أنه نحوي قياسي و ليس أثريا قياسيا ، لأن اجتماع الأثرية و القياسية في عقلية واحدة من المتناقضات، فضلا عن أن سلوك أبي علي شاهد عدل على قياسيته التي لا شك فيها"[49].

6- موقفه من القراءات الشاذة:

كان الفارسي على إقراره بأن القراءة سنة، مثل غيره من النحاة الذين أخضعوا القراءات لمقاييسهم وهاجموا بعض وجوهها المشهورة، إذ وصف بعضها باللحن وبعضها الآخر بالضعف، كما وصف بعض القراءات الشاذة بالخطأ لأنها لا توافق مذهبه، إلا أنه لم يبلغ في ذلك كل قسوة السجستاني والمبرد والنحاس[50].فقد استشهد الفارسي بالقراءات الشاذة في الحجة في مواضع كثيرة

ويظهر من شواهد أبي علي من القراءات الشاذة اعتداده كثيرا بهذه القراءات في الاحتجاج اللغوي وهو في مواضع عديدة لا ينسب القراءة لصاحبها[51]فيذكر مثلا:(وفي قراءة) أو (وزعم بعضهم) وذلك في قوله تعالى: "وزعموا أنه في حرف عبد الله ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ [فصلت: 47].

وكان الفارسي يقبل ما وافق مذهبه من الشواذ ويعتد به ويحتج به للقراءات المشهورة بل يبني به بعض القواعد ومن أمثلة استشهاده بالقراءات الشاذة ما ذكره عند توجيهه لقراءة قوله تعالى : ﴿ فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ [النساء: 128] .

فقد قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يصالحا) بفتح الياء والتشديد .وقرأ حمزة والكسائي (أن يصلحا بضم الياء والتخفيف) [52]

فقال الفارسي في توجيه القراءة الأولى: "إن الأعرف في استعمال هذا النحو: تصالحا ويبين ذلك أن سيبويه

زعم أن هارون حدثهم أن بعضهم قرأ: "فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا"[53]فيصلحا يفتعلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اجتوروا واعتونوا واعتوروا لما كان بمعنى: تجاوروا وتعاونوا وتعاوروا فهذه حجة لمن قرأ "يصالحا" وكذلك زعموا في حرف عبد الله "فلاجناح عليهما أن اصالحا"[54] .

وقد يتعرض لمناقشة قراءة من القراءات الشاذة عند توجيهانه للقراءات السبعة ويذكر رأيه فيها، وذلك كمثل قوله في توجيهه قراءات قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ ﴾ [يونس:16].

فقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص ونافع :(ولا أدراكم) بفتح الراء والألف وقرأ أبو عمروا وعاصم في راوية أبي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي (ولا أدريكم) بكسر الراء وبألف[55].

فقال: "فأما الهمزة في (أدراكم) [56] على ما يروى عن الحسن فلا وجه له لأن الدرء الدفع على ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران:68] ، وقوله: ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ [البقرة: 72] وما روي عن قوله صلى الله عليه وسلم: "ادرؤوا الحدود بالشبهات"[57] .فهو يرى أن القراءة لا وجه لها.

وقد يستشهد بقراءة من القراءات الشاذة لتقوية وجه اعرابي وذلك مثل ما ذكره عند توجيهه لقراءة قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران:80]. فقد اختلفوا في ضم الراء وفتحها من قوله تعالى:(ولا يأمركم) فقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمر والكسائي (ولا يأمركم) رفعاً وكان ابوعمروا يختلس حركة الراء تخفيفاً، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة (ولا يأمركم)نصباً[58] .

فقال الفارسي في توجيه قراءة الرفع: "ومما يقوي الرفع أنه في حرف ابن مسعود زعموا (ولن يأمركم) [59] فهذا يدل على الانقطاع من الأول) .

وقد يستشهد الفارسي بالقراءة الشاذة للاستدلال على تقوية معنى مثل استشهاده على تقوية معنى الخبر على الاستفهام وذلك عند توجيهه لقراءات قوله تعالى ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ﴾ [يونس:81] .فقد قرأ أبو عمرو وحده" (آلسحر) ممدودة الألف وكلهم قرأها بغير مد على لفظ الخبر[60].

فقد ذكر في توجيهه للقراءة على لفظ الخبر قراءة أخرى شاذة لتقوية هذا الوجه فقال :"ومن قال:(ما جئتم به السحر) كان (ما) في قوله: (ماجئتم) موصولاً و(جئتم به) الصلة، والهاء المجرورة عائدة على الموصول، وخبر المبتدأ الذي هو الموصول (السحر) ومما يقوي هذا الوجه ما زعموا أنه في حرف عبد الله (ماجئتم به سحر) [61]

وذكر النحاس في إعرابها وجهاً غير هذا الوجه المشهور الذي ذكره الفارسي فذكراً أنه يمكن أن تكون (ما) في موضع رفع الابتداء والخبر (جئتم به) والتقدير: أي شيء جئتم به على التوبيخ والتقصير لما جاؤوا به (السحر) على اضمار المبتدأ والتقدير هو السحر .

وقد يستعين بالشعر لإيضاح بعض وجوهها ومن ذلك استعانته بقول الشاعر:

متقلدا سيفا ورمحاً.

على تخريج رواية المفضل عن عاصم[62]:﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة: 7] بنصب غشاوة إذ جعلها على حذف الفعل[63] .

وهو قد يجعل القراءة الشاذة وجه الكلام مفضلة على القراءة المشهورة مجهله قراءة عباس ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [آل عمران:18] بكسر (إن) هي الوجه لأن الكلام الذي قبلها قد تم.

ومن نماذج ذلك إيراده لأربع قراءات شاذة في استدلاله على المفعول المحذوف والذي ورد ظاهراً في بعض القراءات الشاذة ففي توجيهه لقراءات قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [البقرة: 106]

فقد قرأها ابن كثير وابوعمرو (ننسأها) بفتح النون الأولى مع الهمز وقرأ الباقون (ننسها) بضم النون الأولى وترك الهمز فعند توجيهه لقراءة قوله تعالى (ننسها) قال: "فالمفعول المراد المحذوف في قراءة من قرأ: (أو ننسها) مظهر في قراءة من قرأ "ننسكها[64]" و يؤكد ذلك ويبينه قراءة من قرأ (أو ننسها) [65] فالمفعول به المقدر في القراءة الأولى (ننسها) قد عرف انه هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو المخاطب في القراءتين (ننسكها) و(تنسها)كما ان هناك قراءتين أخريتين وتؤكدان معنى القراءتين السابقتين فقال:

"يؤكد ذلك أيضا ما روي من قراءة ابن مسعود :(ما ننسك من آية أوننسخها) [66] وبقراءة ابن مسعود قرأ الأعمش وروى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال قراءة أبي[67]:(ما ننسخ من آية أو ننسِكَ)" [68] .

و في ختام هذا المقال توصلنا إلى أن القراءات القرءانية تمثل منهجا في النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر مهما يكن. فهي وحي منزل من الله تعالى، و كان الفارسي يعتبر القراءة سنة، فلا ينبغي أن تحمل على ما تجوّزه العربية حتى ينضم إلى ذلك الأثر من قراءة القراء، ونستنتج من توجيهه للقراءات أنه لا يفرق بين القراءات السبع وغيرها من القراءات فهو يوجه القراءات دون اعتراض إذا اتفقت ومقاييسه النحوية، و يقبل حتى بعض القراءات الشاذة، و يهاجم القراءات التي لا تخضع لمقاييسه حتى و لو كانت مشهورة ، إذ وصف بعضها باللحن وبعضها الآخر بالضعف، كما وصف بعض القراءات الشاذة بالخطأ لأنها لا توافق مذهبه.

[1] – الحجة: 407/2.
[2] – الصغير (محمود أحمد) ، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، دمشق،1999م، ص: 184.
[3] – ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق: ج.براجستراسر، مطبعة الخانجي ،مصر، ط1: 106/2.
[4] – عبد الفتاح القاضي، البذور الزهراء في القراءات العشر المتواترة ، ص: 6.
[5] – الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله) ،معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: محمد سيد جاد الحق ، مطبعة دار التأليف: 71/1.
[6] – نفسه 1:/71.
[7] – البذور الزاهرة :6.
[8] – معرفة القراء ج1/ص73.
[9] – البذور الزهراء :7.
[10] – معرفة القراء: 83/1.
[11] – البذور الزاهرة :7.
[12] – نفسه:7.
[13] – معرفة القراء: 89/1.
[14] – انظر الإتحاف: 11.
[15] – نفسه: 11.
[16] – معرفة القراء: 100/1.
[17] – ينظر: الحجة 242/1 .

[18] – الحجة 438/2. و التسيير في القراءات السبع: 201، و ينظر: إتحاف فضلاء البشر :558 .

[19] – الحجة: 498/2.

[20] – نفسه: 89/1.

[21] – الحجة: 391/1.

[22] – ابن منظور .لسان العرب: مادة (ح ج ج) :53/3.

[23] – الجرجاني الشريف. التعريفات ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3 ، 1988م، ص: 82.

[24] – انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة ، القاهرة، ط2، مادة(ح ج ج)، ص: 156.

[25] – ينظر الصفحات: 101إلى 105 من هذا البحث.

[26] – التعريفات، ص: 43.

[27] – كشاف اصطلاحات الفنون: 1522.

[28] – الحربي (عبد العزيز). توجيه مشكل القراءات العشرية لغة وتفسيرا وإعرابا ، دار ابن حزم، الرياض،ط1.,2003م، ص: 67

[29] – نفسه: 68-69.

[30] – ينظر ص : 119 من هذا البحث.

[31] – الكشف: 3/1-4

[32] – الكشف: 6/1.

[33] – – انظر على الترتيب المعاني: 74/1، وإعراب السبع: 3/1، والحجةلابن خالويه : 61-62 (وليس فيهما تصريح بالاعتماد على كتاب السبعة لابن مجاهد، غير أن القرائن على ذلك كثيرة :منها تلمذة ابن خالوية على يد ابن مجاهد، وان أسانيده التي ذكرها إلى القراء السبعة تمر به).

[34] – الحجة للقراء السبعة :1/ 29 .

[35] – الكشف: 3/1-4

[36] – انظر الهداية: 3/1.

[37] – الموضح: 12/1 .

[38] – المحتسب: 10/1.

[39] – نفسه:91/2 .

[40] – نفسه: 92/2.

[41] – الحجة: 200/1 ، الإتحاف: 170 ، التيسير: 81

[42] – نفسه :203/1 ، والتيسر: 81

[43] – نفسه: 57/1

[44] – الحجة: 200/1

[45] – القراءات القرآنية ومواقف النحاة منها: 268

[46] – الحجة: 231/1

[47] – نفسه: 257/2

[48] – الحجة 444/2

[49] – القراءات القرآنية ومواقف النحاة منها: 277.

[50] – محمود أحمد الصغير ،القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص: 184

[51] – الحجة :355/3.

[52] – نفسه :94/2.

[53] – وهي قراءة عاصم الجحدري وعثمان البتي . ينظر: الخطيب (عبد اللطيف) معجم القراءات. ، دار سعد الدين ، دمشق، ط1، 2002م. 544/1.

[54] – وهي قراءة الاعمش وابن مسعود ينظر معجم القراءات 544/1.

[55] – الحجة: 356/2. .

[56] – وهي قراءة الحسن. ينظر معجم القراءات 340/2

[57] – أخرجه الترمذي في الحدود 1424 .

[58] – الحجة: 30/2-34

[59] – وهي قراءة ابن مسعود .معجم القراءات 423/1

[60] – الحجة :371/2-372

[61] – وهي قراءة المطوعي وعبد الله ابن مسعود والأعمش وأبي، ينظر :معجم القراءات364/:2

[62] – النحاس، إعراب القرآن: يونس 81

[63] – الحجة: 1/187

[64] – قراءة سالم مولى أبي حذيفة. ينظر: معجم القراءات 244/1 .

[65] – قراءة سعيد بن المسيب والضحاك .ينظر معجم القراءات: 244/1

[66] – معجم القراءات: 245/1

[67] – نفسه: 244

[68] – الحجة: 357/1-360.